

الفصل السادس: ملفه اضطرابات الوعي (32)

ما هو البديل عن تفسير الأحلام

في العلاج (وخاصة العلاج الجمعي)؟

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD17815.pdf>

بروفيسور يعقوب الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/08/17
السنة الثامنة - العدد: 2908



مقدمة:

مع تكرار إعلان تحفظي على ما يسمى "تفسير الأحلام" من ابن سيرين حتى سيجموند فرويد وبعده إلى أن وصلنا إلى موسوعية أ.د. على زيعور الذي أحاط بقضية التفسير من كل جوانبها [1]، مع كل هذا واستمرار إصراري على موقفي كان لابد أن يقفز سؤال وأسئلة تقول:

لكننا نحلم، الأسوياء يحلمون، والمرضى يحلمون، والجميع يحكون أحلامهم لذويهم أو لأصدقائهم (حسب تعودهم) أو لأنفسهم أو لمعالجهم أو لمشايخهم، فما هو موقفنا كمعالجين إزاء كل ما يحكون إذا لم نبادر بالتفسير أو نحاول التفسير؟

في محاولة للإجابة لا أستطيع أن أعمم، ولا أعرض إلا خبرتي التي أنقلها لمرضى وزملائي المعالجين والمتدربين معي والتي من أهم معالمها التركيز على مواصلة العلاج الجمعي في قسم الطب النفسي بكلية الطب قصر العيني.

وفيما يلي بعض ملاحظاتها فيما يتعلق بمسألة الأحلام عامة وفي العلاج الجمعي خاصة:

أقر وأعترف أنني منذ أكثر من خمسين عاما، وأثناء العلاج النفسي الفردي كنت استمع إلى أحلام مرضاي بصبر وترحيب أكثر، ولم تكن أفكارى ولا خبرتي تسمح لي بكل هذا التحفظ على تفسير الأحلام كما وصل بي الحال حاليا إلى حد التحذير بل وأحيانا الرفض.

كنت استمع لمرضى وهو يحكى حلمه دون اعتراض أو مقاطعة، كما كنت أحيانا أتركه يفسر حلمه كما يشاء (وكما علمت مؤخرا خاصة من قراءاتي الأخيرة في د. زيعور أن هذا وارد ومفيد وأحيانا أن هذا مطلوب ومساعد)، ولكنني لم أكن أتوقف عند تفسيراته، وعادة لا أوافق ولا أعارض، ولم أكن أعرف أيامها أنني بذلك أضعها بين قوسين، ذلك الأسلوب الرائع الذي عرفت فيما بعد أن اسمه "تعليق الحكم".

بعد فترة لاحظت أنني كنت أتدرج مع مريضى إلى ما جرجرنى إليه العلاج المعرفى مؤخرا، وبالذات فى العلاج الجمعي، حيث رحنا نفضل أن يحل محل "ماذا؟" سؤال أهم وألزم وهو "إنّ ماذا؟" وكان المريض يدهش لأول وهله، لكنه بعد أن يعتاد طريقتى نخرج معا (سواء رضى هو بتفسيره أم قبل منى تعليق الحكم) نخرج بدلالة هادية إلى الخطوات التالية وليس إلى التفسير تحديدا!

ثم تطورت خبرتي فى العلاج الجمعي بانتظام أسبوعى على مدى نصف قرن إلا ستة سنين، وبدأت تتبلور ملاحظاتي مع المرضى والمتدربين ونحن نتعلم التعامل مع ما يحكىه أحد أفراد المجموعة من أحلام، ملتزمين بقاعدة "هنا والآن"، فيما يمكن عرضه بالنسبة للموقف فى العلاج

لكننا نحلم، الأسوياء يحلمون، والمرضى يحلمون، والجميع يحكون أحلامهم لذويهم أو لأصدقائهم (حسب تعودهم) أو لأنفسهم أو لمعالجهم أو لمشايخهم، فما هو موقفنا كمعالجين إزاء كل ما يحكون إذا لم نبادر بالتفسير أو نحاول التفسير؟

كنت استمع إلى أحلام مرضاي بصبر وترحيب أكثر، ولم تكن أفكارى ولا خبرتي تسمح لي بكل هذا التحفظ على تفسير الأحلام كما وصل بي الحال حاليا إلى حد التحذير بل وأحيانا الرفض.

الجمعى فى النقاط التالية:

- 1) نحن لا نشجع الحكى عن الأحلام بوجه خاص.
- 2) لكن أيضا: نحن لا نرفض ذكر الأحلام دون تفصيل أو استطراد.
- 3) ثم إننا لا نتوقف طويلا عند تفاصيل الحلم ، وإنما نأخذ ما يمكن أن يسمى **لقطات** أو **عينات مما يمكن حكيه**، ثم تفعيله دراميا "هنا والآن". بمعنى أننا قد نمارس دراما قصيرة يقوم فيها الحاكي بدوره فى الحلم، أو بأى دور يختاره، وندعو من يشاء (من المرضى أو المعالجين) بالقيام بدور شخص أو أكثر من شخوص الحلم، إلى آخر قواعد السيكودراما وآلياتها، وقد نأخذ من مادة الحلم ما يمكن أن يساعد فى تخطيط سيناريو موجز لبعض اللقطات، تسمح أحيانا بالتقدم على طريق السيكودراما المقترحة، وأحيانا نستلهم من الحلم لعبة من "الألعاب العلاجية" "هنا والآن".

- 4) إننا عادة لا نستطيع، ولا نحتاج، إلى الجزم على أن ما يُحكى كان حلما خالصا أو أن ثمة إضافات تلقائية تمت أثناء الحكى أو بفعل قصور الذاكرة.
- 5) ثم إننا نتجنب بشكل حاسم أية محاولة لتفسير الحلم، لا بالطريقة الشعبية، ولا بالطريقة التحليلية الفرويدية، أو التحليلية عموما، أو نسبة إلى أى مرجع دينى خاص.

- 6) هذا علما بأنه نادرا ما نواجه الحاكي (الحالم) بأى ملمح تنظيرى يفسر قصور ما يحكى، بما فى ذلك فروضى الخاصة، اللهم إلا إذا جرتنا التفاعل إلى مواجهة طبقات من الوعى استثارها حكى الحلم بشكل أو بآخر.

وبعد

يبدو أن كل هذه التحفظات، والاشترطات، وصلت وتصل إلى معظم المشاركين مرضى ومعالجين، حتى أننى لاحظت أنه بصفة عامة أصبح الحكى عن الأحلام نادرا بشكل أو بآخر، وذلك فى كل المجموعات تقريبا على مدى أكثر من أربعين سنة، إذ يبدو أن التحفظ أو الرفض قد وصلهم ويصلهم من خلال فرط التركيز على "هنا والآن" وحيوية تشكيل الوعى الجمعى طول الوقت.

المفاجأة والتجربة:

ظل كل ذلك كذلك إلى أن حدثت هذه التجربة منذ خمس سنوات تقريبا ونشرناها هنا فى نشرتين نشرته: "تعمل حلم 1، 2" [نشرة 2010/9/22](#): "[نحن نؤلف أحلامنا](#)" [تجربة من العلاج الجمعى "تعمل حلما": "هنا والآن"](#) ونشرة [2013/7/28](#): "[العمل بالأحلام فى العلاج الجمعى \(1\)](#)"، كما نشرنا كثيرا من التعقيبات خاصة تلك التى وردت عنها فى [يريد الجمعة بتاريخ 2010/10/1](#)،

بدأت التجربة حين انبعثت الفكرة بتلقائية من إحدى زميلاتي المتدربات ثم تطورت، ثم تعمدت بعد ذلك وأدت المناقشات والردود والعرض فى ندوة علمية [بتاريخ أكتوبر 2010](#) إلى الكشف عن مستوى من الوعى، اعتبرناه أقرب ما يكون إلى وعى الحلم، كما ساعدتنا فى توضيح إمكانية تلقائية إبداع الحلم فى "هنا والآن"، الأمر لاحظناه أكثر حين استثار الحلم المصنوع فى بعض مقاطعه

رحنا نفعل أن يحل محل
"لماذا"؟ سؤال أهم وألزم
وهو "إذن ماذا"؟ وكان
المريض يدهش لأول وهله،
لكنه بعد أن يعتاد طريقتى
نخرج معا (سواء رضى هو
بتفسيره أم قبل منى تعليق
الحكم)

ثم إننا لا نتوقف طويلا عند
تفاصيل الحلم ، وإنما نأخذ ما
يمكن أن يسمى لقطات أو
عينات مما يمكن حكيه، ثم
تفعيله دراميا "هنا والآن"

لا نستطيع، ولا نحتاج، إلى
الجزء على أن ما يُحكى كان
حلما خالصا أو أن ثمة
إضافات تلقائية تمت أثناء
الحكى أو بفعل قصور
الذاكرة

مشاركة اثنين أو أكثر فى نفس الحلم سواء كان المشارك هو المعالج أو كانت المشاركة بين مريض ومريض، كما كشف كل ذلك عن مستوى الوعى المسئول عن هذا التنشيط الإبداعي وأنه أقرب ما يكون إلى ما يسمى الوعى البيئشخصى، ثم الوعى الجمعى.
(وسوف نعود إلى أغلب ذلك فى نشرات تالية)

نتجنبه بشكل حاسم أية محاولة
لتفسير العلم، لا بالطريقة
الشعبية، ولا بالطريقة التحليلية
الفرويدية، أو التحليلية
عموما، أو نسبة إلى أى مرجع
دينى خاص.

III- مع تقصيرى فى الإمام بكل جهوده اللهم إلا تكرار قراءة المحتويات والانتقاء الممكن إلى أن أوفى هذا الجهد حقه.

**** **

كامل نشرات " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** **

خريف / شتاء 2014/2013

الإدارة

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.pdf>

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.exe>

خريف / شتاء 2013/2012

" فبي تجلب أذنه ما هو مـوت "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe

ربيع - صيف 2012

... قراءة من منظور تطوري " الفصحاء "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe

اصدار شتاء 2012

منذ كما يتعمق رعى الإنسان

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe